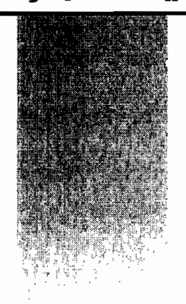


قراءة في مصادر ترجمة الهمداني

د. محمد أحمد الكامل
قسم التاريخ، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء

ملخص:

ليس من المبالغة القول: أن أبا محمد الحسن بن أحمد الهمداني، مثَّل وما يزال يمثل ظاهرة علمية فريدة ومتميزة بالنسبة لعصره وما بعد عصره، على مستوى اليمن وعلى مستوى ديار الإسلام والعالم، سواء أكان ذلك من حيث موسوعيته العلمية وإنتاجه العلمي الكبير في ميادين علمية - تطبيقية وإنسانية وطبيعية- عديدة- أم في ما حمله ذلك الإنتاج من آرائه ونظرياته العلمية التي سبق بها علماء أقدمون ومحدثون في كثير من الجوانب والظواهر العلمية الطبيعية والتطبيقية كإثبات كروية الأرض، وحديثه عن خطوط الطول والعرض، وسرعة الضوء والصوت، والجاذبية، وعلاقة الأكسجين بالاحتراق، وعن خصائص ومركبات المعادن والصخور وعلوم الأرض، وغير تلك من الآراء والاستنتاجات العلمية. أم في منهجيته العلمية الفريدة والمتميزة التي صاغ بها ذلك الإنتاج والذي يكشف ما وصلنا منه، عن عقلية علمية واعية وفاحصة ومتزنة وبعيدة الأفق، تنطبق عليها مقاييس وشروط المنهجية العلمية الحديثة في كثير من جوانبها، ورغم ما كتب حول هذه الشخصية - على مستوى حياته الشخصية والعلمية- من دراسات وبحوث ومؤلفات وما عقد حول ذلك من ندوات ومؤتمرات، فإن كل ذلك - على أهميته- لم يكشف إلا اليسير من جوانب حياته وعلمه. وإذا كان الهمداني قد غبن وأهمل من قبل مصادر التراجم العامة لعلماء

المسلمين والتي ركَّزت على علماء المراكز وأهملت علماء الأطراف الإسلامية، ومنها اليمن، فإن ثمة عوامل داخلية خاصة بالوضع السياسي والمذهبي في اليمن والذي جعلها شبه معزولة عن خارجها، وكذا عوامل خاصة بحياة الهمداني وشخصيته وآرائه العلمية والكلامية ومواقفه وعلاقته بسلطات وعلماء عصره وما تعرض له من اضطهاد وسجن وتشهير وتكبيل، وما نتج عن ذلك وأعقبه من تتبع مؤلفاته وإخفائها أو إحراقها خلال مدة امتداد سلطة أئمة الزيدية في اليمن، حتى أن ما وصلنا من بعضها هو عبارة أجزاء ومستلات ونتف يسيرة أغلبها نقول ومرويات متأخرة عن المؤلفات الأصلية.. كل ذلك شكّل عائقاً أمام استجلاء الكثير عن جوانب تلك الشخصية. ومع ذلك فإن ما بين أيدينا من مصادر ومادة علمية متوفرة - سواء أكانت ما بأيدينا من كتبه، أم مصادر عامة عن تاريخ عصره، أم كتب تراجم عامة معاصرة ومتأخرة ترجمت له أو أشارت إليه من قريب أو بعيد- ما زال بالإمكان أن تعطي الكثير، وما زال بالإمكان إعادة قراءتها واستجلاء مزيد من الجوانب بحسب الأغراض البحثية. وهذه الورقة ستعنى بجانب لم يتم دراسته - بحسب علم الباحث- بصورة مستقلة ومستوفيه، ذلك هو تقديم قراءة جديدة لمصادر ترجمة الهمداني، بهدف الخروج بنتائج من شأنها الكشف والتبصير بجوانب جديدة في حياة الهمداني، وكذا تمكين الباحثين والدارسين والمهتمين بحياة الهمداني وعلمه من الوصول إليها بيسر.

الكلمات المفتاحية: الهمداني، تراجم، الخزرجي

مدخل:

ليس من المبالغة القول: بأن أبا محمد الحسن بن أحمد الهمداني، مثَّل وما يزال يمثل قيمة ومكانة تاريخية حضارية - علمية وفكرية وأدبية- متميزة بالنسبة لعصره وما بعد عصره، على مستوى اليمن وعلى مستوى ديار الإسلام والعالم. تشهد بذلك قائمة مؤلفاته التي أشارت المصادر إلى بعضها، والتي تدل على غزارة نتاجه وموسوعيته العلمية في ميادين ومجالات علمية نظرية وتطبيقية متنوعة. ومن خلال ما وصلنا من ذلك النتاج – على قلته- نستدل على جوانب من خصائصه وسماته العلمية الموضوعية والمنهجية المتميزة، وعلى خلاصة بعض ما تميز وتفرد به الهمداني من أفكار ونظريات وتجارب واستخلاصات علمية مهمة قامت على أسس وقواعد وملاحظات منهجية علمية دقيقة، سواء أكان ذلك في مجالات العلوم الفلكية والطبيعية البحتة؛ كحديثه عن كروية الأرض، والجاذبية، وخطوط الطول والعرض، وسرعة الضوء والصوت، والنسبية، والأكسجين والاحتراق، وخصائص مركبات المعادن وخواص تشكلها، والصخور، والغازات، وعلوم الطب.... أم في ظواهر إنسانية، كعلاقة البيئة بالسلوك والنشاط الإنساني.... وغير ذلك مما نسب أولويته لعلماء متأخرين من الشرق والغرب أُثبتوا- للأسف – في المقررات العلمية في المدارس والجامعات الإسلامية وغير الإسلامية ومنها مقررات التعليم في اليمن. أما في مجال الشعر والأدب واللغة والتواريخ والأنساب والحكمة، فكان ظاهرة عصره... واستحق بجدارة تلك الألقاب والصفات التي نعت بها من قبل معاصريه ومن جاء بعدهم ممن ترجم له، ومن تلك الألقاب: " لسان اليمن" و"النسابة " وغيرها من الألقاب والصفات التي سنشير إلى نماذج منها في معرض الحديث عن مصادر ترجمته.

ذلك الإبداع العلمي والفكري والأدبي، لم يكن هو كل ما في حياة الهمداني، فقد عاش حياة حافلة بالنشاطات والأعباء والمسؤوليات، كتحمل المسؤوليات والأعباء الأسرية والمعيشية، وتنقله مع أسرته أو منفردا في مناطق متعددة. كما أن طبيعة عمله في نقل الحجاج والتجار بين اليمن والحجاز تقتضي كبير جهد ومشقة، وفوق ذلك فقد تعرض لكثير من المحن والمعاناة والمضايقات التي وصلت إلى سجنه ثم فرض الإقامة الجبرية عليه حتى وفاته.

إن تلـك الحيـاة الحافلـة لهـذا العلـم البـارز، لجـديرة بـأن تكـشف مختلـف جوانبها؛ حتى تكون أنموذجا تقتدي بها وتسير على نهجها الأجيال، وتبعث فيها الاعتزاز والفخر بتاريخها وهويتها. غير أن نسبة ما هو متوفر بين أيدينا من دراسات ومادة علمية في بطون المصادر المختلفة عن هذه الشخصية، ما تزال ضئيلة لا تُمكّن من رسم صورة متكاملة الملامح والأبعاد. وحتى تكشف الأيام عن مصادر جديدة قد تكشف عن جوانب جديدة من حياة الهمداني وشخصيته، فليس أمام أي باحث أو مهتم بهذه الشخصية إلا ما هو متاح من المصادر الرئيسة التي سيتم التعريف بها وتحديد طبيعة وقيمة المادة العلمية التي تحتويها فيما يتعلق بشخصية وحياة الهمداني في هذه الدراسة. حيث تم تصنيف هذه المصادر إلى ثلاث مجموعات، سيتم عرضها على النحو التالي:

أولاً: مؤلفات الهمداني:

إن أول وجهة مصدرية رئيسة يتجه إليها الباحث في شخصية وحياة الهمداني، هي مؤلفاته التي تحتوي - كما نستدل مما وصلنا منها، وهي: الأجزاء الأربعة من مجموع الأجزاء العشرة التي يتألف منها كتاب" الإكليل" وهي الأجزاء التالية:(الأول، والثاني، والثامن، والعاشر) وكتاب "الجوهرتين العتيقتين" و "صفة جزيرة العرب" و"قصيدة الدامغة وشرحها" و"المقالة العاشرة من سرائر الحكمة" - على إشارات ومعلومات متنوعة وقيمة حول جوانب مختلفة من شخصية وحياة الهمداني، في أحواله الشخصية والاجتماعية: مولده[1]، اسمه وألقابه وكنيته[2]، أسرته وقبيلته وبلده[3]، وجوانب من أحواله وأحوال أسرته المعيشية والعملية، ومناطق استقراره وتنقلاته[4]. وجوانب من

(1) انظر. الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب. *المقالة العاشرة من سرائر الحكمة*. تعليق. محمد بن علي الأكوع. (د. م). ص 96.

(2) انظر. الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب. *الإكليل*. تحقيق. محمد بن علي الأكوع.(ط3. منشورات المدينة. بيروت. 1407هـ/ 1968م). ج1 ص4، 7، 12؛ ج2ص 70، 80، 117، 230، 232، 252، 281، 332، 337؛ ج 10(ط1. مكتبة الجيل الجديد. صنعاء 1410هـ/ 1990م). ص 30.

(3) أورد الهمداني معلومات ضافية عن أسرته ونسبه وقبيلته في الجزء العاشر من الإكليل الذي خصصه للحديث عن انساب وأخبار قبيلة همدان التي ينتمي لها، انظر. ص 169 وما بعدها.

(4) *الإكليل*. ج10 ص176؛ *الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء*. إعداد وتحقيق. محمد محمد الشعيبي. (ط1.مطبعة دار الكتاب. دمشق.1982م). ص 47، 81؛ *المقالة العاشرة*. ص 106- 107؛ *صفة جزيرة العرب*. تحقيق. محمد بن علي الأكوع. (ط1. مكتبة الإرشاد. صنعاء. 1410هـ/ 1990م). ص 315، 313، 319.

أحواله العلمية: مشايخه ومصادر معلوماته ومؤلفاته واتجاهاتها ومناهجها، وأشعاره ورحلاته العلمية داخل الديار اليمنية والحجاز[5]. وجوانب من مظاهر حياته وأخباره العامة، كعلاقته مع أعلام عصره من الزعامات السياسية والقبلية، والأدباء والعلماء والأقران[6]. وإشارات إلى أحداث ووقائع ومظاهر معاصرة[7]. ومعلومات عن المحنة الشهيرة التي مرَّ بها وهي التي أطلق عليها " النكبة"[8] حيث تعرض خلالها - نتيجة تأزم علاقته ببعض أقرانه وبعض أمراء عصره- إلى تضييق الخناق عليه والتشهير به وملاحقته حتى آل الأمر إلى سجنه كرتين في كل من مدينتي " صعدة" و"صنعاء" واستمرار تلك الأزمة حتى بعد خروجه من سجنه الأخير إذ آل به الحال إلى الاستقرار والإقامة الجبرية، في بلدة "ريدة " من أرض همدان شمال صنعاء، تحت جوار وحماية أحد أعيان ذلك العصر[9]، حيث قضَّى فيها بقية حياته منكباً خلالها على تأليف معظم ما يعرف له من الكتب حتى وفاته منتصف القرن الرابع للهجرة[10].

(5) *الإكليل*. ج1. ص 13، 17، 15، 119، 154، 170، 193، 199، - 231، 237، 323، 334- 342، 347، 372؛ ج2. ص 31، 33، 35، 40، 41، 42، 44، 61، 66، 71، 84، 95، 97، 99، 147، 148، 192، 215، 226، 230، 232، 242، 260، 261، 282، 305، 307، 326؛ ج8 ص 37، 45، 50، 60، 64، 82، 84- 88، 96، 100، 124، 140، 148، 156، 165، 167، 176، 196، 189، 213، 230؛ ج10 ص 38، 39، 42، 49، 55، 84، 105؛ *قصيدة الدامغة*. تحقيق. محمد بن علي الأكوع.(مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. 1987م). ص 4، 6، 20، 24، 52، 53، 259، 302، 316، 443، 459، 465؛ *الجوهرتين*. 5، 30، 70، 77، 131؛ *صفة جزيرة العرب*. ص 44، 103، 106، 115، 152، 200، 224، 322، 354.

(6) *الإكليل*. ج1. ص 231- 234؛ ج2. ص 160، 181- 183، 230، 289، 333؛ ج10 ص 49.

(7) *الإكليل*. ج1. ص 231، 240، 321 وما بعدها، 376- وما بعدها، 462؛ ج2 ص 159، 160، 184- 185، ج10 ص 163؛ *الجوهرتين*. ص 70، 77، 81.

(8) *المقالة العاشرة*. ص 108.

(9) *الإكليل* ج1ص 29، 30، 330 وما بعدها؛ *المقالة العاشرة*. ص 107- 116. وقد طرقت عدد من الدراسات الحديثة موضوع هذه النكبة، منها دراسة للدكتور / عبد الرحمن الشجاع تناول فيها نكبة الهمداني من نظرة علمية ومنهجية جديدة استندت على معطيات جديدة، أفضت إلى الخروج بنتائج إضافية. ونشرت تلك الدراسة المعنونة بـ "*نكبة الهمداني*" في مجلة كلية الآداب – جامعة صنعاء. العدد 16. سنة 1994م. ص 223- 256.

(10) لا يوجد – حتى الآن – ما يدل على تاريخ ثابت ومؤكد لتاريخ وفاة الهمداني، واختلفت ترجيحات الدارسين والباحثين المحدثين حول تحديد مدة تقريبية لوفاته، غير أن هنالك شبه إجماع على أن التاريخ الذي تناقلته المصادر المحددة سنة وفاة الهمداني في 334هـ ومصدره " صاعد الأندلسي" غير دقيق، وأن الهمداني – ومن خلال استقراء واستنتاج من نصوص وإشارات وردت في مؤلفات الهمداني ذات صلة به وبحياته- توفي بعد ذلك التاريخ بسنوات. انظر. *الإكليل*. ج1 ص 60(مقدمة المحقق)؛ ج2 ص 29- 30؛ ج8 ص 32 (مقدمة المحقق)؛ ج10 ص 28- 29 (مقدمة المحقق)؛ *سرائر الحكمة*. ص 23- 24(مقدمة المحقق)؛ *صفة جزيرة العرب*. ص 31 (مقدمة المحقق)؛ الشجاع. *نكبة الهمداني*. ص 229؛ عبد الله، يوسف محمد. *ترجمة الهمداني، صياغة جديدة*. (دراسة منشورة ضمن كتاب: *الهمداني لسان اليمن*، دراسات في ذكراه الألفية. جامعة صنعاء. 1407هـ/ 1986م). ص 197- 198.

ومن خلال تتبع واستقراء المادة المتعلقة بحياة الهمداني في تلك المصادر، يمكن الخروج بالملاحظات التالية:

1. أن تلك المادة لم تكن مقصودة لذاتها كترجمة، وإنما جاءت بشكل عارض في إطار سياق موضوعات أخرى، فجاءت متقطعة ومتناثرة، وفي الوقت نفسه متفاوتة من حيث حجمها وموضوعها وأغراضها وقيمتها وفقاً لسياق الموضوع الذي تذكر في إطاره.
2. غير أن المساحة التي عرض فيها الهمداني لجوانب من حياته في " المقالة العاشرة من سرائر الحكمة "[11] يتوافر فيها جانب كبير من القصد، وإن كان ذلك ورد بصورة رمزية غير مباشرة وذلك في إطار عرض فلكي علمي، إلا أن تلك المعلومات على قلتها ورمزيتها قد كشفت جوانب غامضة وجديدة من حياة الهمداني[12].
3. مثّلت مقاطع الأشعار التي وردت في ثنايا تلك المؤلفات مما قاله الهمداني أو ورد على لسانه في مناسبات وأغراض مختلفة - مما له صلة بجوانب من حياته أو بعلاقته بأعلام وأحداث عصره- مادة حملت في طياتها معلومات وإيحاءات ودلائل وشواهد عن حياة الهمداني وعصره أفاد منها كثير من الدارسين المحدثين ممن تناولوا سيرته[13]. وبحسب الدكتور الشجاع، فإن هذه المادة بحاجة إلى التفاتة جادة من قبل المتخصصين من أهل اللغة والأدب، لسبر أغوارها والخروج بالجديد من الشواهد والدلائل حول شخصية وحياة وعصر الهمداني. [14]
4. رغم ما تمثله تلك المادة من أهمية في التعريف بجوانب مختلفة من شخصية حياة الهمداني إلا أن ثمة محذورات تعتور طريق الإفادة الجادة من بعضها، فبالإضافة إلى تناثرها وعدم وضوح بعضها، فإن تحديد مصدرها وزمنها يمثل مشكلة كبيرة؛ فهي لم ترد جميعها على لسان الهمداني، إذ يرجع بعضها إلى مصدر آخر وزمن متأخر وعلى وجه

(11) انظر. *المقالة العاشرة*. ص 96- 161.

(12) انظر. *المقالة العاشرة*. ص 8 وما بعدها (مقدمة المحقق)؛ *صفة جزيرة العرب*. ص 16(مقدمة المحقق)؛ الشجاع. *نكبة الهمداني*. ص 226 وما بعدها؛ عبد الله. *ترجمة الهمداني، صياغة جديدة*. ص 187 وما بعدها.

(13) انظر. *المقالة العاشرة*. ص 23 وما بعدها (مقدمة المحقق)؛ *الإكليل* ج اص 49- 56، 60 (مقدمة المحقق).

(14) الشجاع. *نكبة الهمداني*. ص 224.

الخصوص بعض مادة أجزاء "الإكليل" التي جاءت برواية وأسلوب مختصرها، محمد بن نشوان بن سعيد الحميري (توفي بعد سنة614هـ)[15]، الأمر الذي قد يُحدث ارتباكا واضطرابا في بعض المعلومات التي قد تنسب إلى الهمداني وعصره بينما هي للشارح وعصره، بل ربما البعض منها مما أدخل من قبل نساخ في عهود متأخرة، وقد نبه البعض إلى ذلك وإلى بعض تداعياته[16]. الأمر الذي يتطلب توخي قدر كبير من الحذر والتركيز والحصافة في التعامل معها.

5. ومع ذلك فكما مثّلت تلك المؤلفات المفتاح والمصدر الرئيس الأول للدارسين والباحثين المحدثين الذين طرقوا شخصية وحياة الهمداني أو جوانب منها وخرجوا بحصيلة ونتائج مهمة استطاعوا من خلالها ومن خلال مقارنتها بمصادر أخرى الاقتراب من رسم ملامح وسمات تلك الشخصية، فإنها ما زالت تحتفظ بتلك المكانة وتلك الأهمية وتمثل الوجهة المصدرية الرئيسة لمن أراد التصدي لذلك والكشف عن الجديد وتوضيح الغامض منها، وذلك من خلال إعادة قراءتها من زوايا ورؤى ومناهج وأدوات بحثية جديدة.

ثانياً: مصادر الترجمة المباشرة.

ونعني بها المصادر التي خصَّت الهمداني بترجمة مباشرة مقصودة لذاتها في إطار سياق موضوعاتها العامة، سواء أكانت مصادر تراجم أعلام وطبقات لشرائح علمية معينة، أم تراجم عامة، أم مصادر تاريخية أخرى عامة. وتعد مصادر هذه المجموعة أساسية ومتكاملة مع مصادر المجموعة الأولى- مؤلفات الهمداني- لمن بحثَّ ولمن سيبحث البحث في شخصية وحياة الهمداني. وما نما إلى علمنا أو

---

(15) انظر ترجمته لدى. ابن المؤيد، إبراهيم بن القاسم. ***طبقات الزيدية الكبرى***. (القسم الثالث). تحقيق. عبد السلام الوجيه. (ط1. مؤسسة الإمام زيد الثقافية. عمان. الأردن. 1412هـ/ 2001م). مج 2 ص 1084- 1085؛ ابن أبي الرجال، شهاب الدين أحمد بن صالح. ***مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية***. تحقيق. عبد الرقيب مطهر حجر.(ط1. منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية. صعدة اليمن. 1425هـ/ 2004م). ج. 4 ص 375- 377.

(16) انظر. ***صفة جزرة العرب***. ص 31؛ الشجاع. ***نكبة الهمداني***. ص 224، 245؛ عبد الله. ***ترجمة الهمداني***. ص 185، 194، 195، 197؛ الشامي، أحمد محمد. ***تاريخ اليمن الفكر اليمني في العصر العباسي***. (ط 1. دار النفائس. بيروت. 1407هـ 1987م). ج1. ص 177.

وقع بين أيدينا من مصادر هذه المجموعة ليس بالكثير، ويمكن تصنيفها من حيث أهميتها مجموعتين على النحو لتالي:

أ. المصادر أولية:

وهـي مـصادر الترجمـة الرئيـسة الأولى بحـسب قِـدمها الـزمني، واطـلاع أصحابها على بعض مؤلفات الهمداني التي هي اليوم في عداد المفقودات، وهذه المصادر هي التي اعتمدت عليها المصادر الثانوية في إطار هذه المجموعة. ولا يتجاوز ما نعلم من هذه المصادر عدد أصابع اليد الواحدة.

يـأتي في مقدمتها ترجمة الكلاعي (أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الحميري، ت 404هـ)[17] التي نقل أجزاء منها المؤرخ الخزرجي (ت 812هـ)[18] في ترجمته للهمداني في كتابه "العقد الفاخر"[19]. ويعد الخزرجي هو المصدر الأول لمعرفتنا بهذه الترجمة التي نقل عنها بعض من ترجم للهمداني كما سيتبين. ولم يفصح الخزرجي عن اسم الكتاب الذي نقل عنه الترجمة، سوى قوله - بعد أن ذكر وفاة الهمداني في بلدة ريدة التي عاش فيها في آخر عمره: "..وكان عمره كله ستا وخمسين سنة هكذا قاله الكلاعي ومن كتابه نقلت معظم هذه الترجمة "[20].

وتكمن أهمية هذه الترجمة- بحسب ترجمة الخزرجي عنها- بأنها أول ترجمة يمنية مباشرة قريبة عهد من عصر الهمداني، وفيها قدر من الشمول والإنصاف لهذه الشخصية، فجاء فيها ذكر اسمه ومولده ونسبه وصفاته العلمية والأدبية، ومما جاء من ذلك قوله: " وكان الحسن هو الأوحد في عصره، الفاضل

(17) حول ترجمته انظر. الخزجي، أبي الحسن علي بن الحسن. ***العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن***، وهو " طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن". تحقيق. عبدالله العبادي وزملاؤه. (ط1. الجيل الجديد ناشرون. صنعاء. 1430هـ/ 2009م). ج4. ص 1857- 1863؛ ابن أبي الرجال. ***مطلع البدور***. ج4 ص 254- 258.

(18) هو: موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الخزرجي أحد مؤرخي اليمن وأشهر مؤرخي الدولة الرسولية. كان مقربا من السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل الرسولي- توفي سنة 803هـ/ 1400م- حيث تولى له بعض الأعمال. له عدد من المؤلفات التاريخية في تاريخ اليمن ومنها ما خصصه لتاريخ دولة بني رسول حتى عهده، توفي في مدينة زبيد اليمنية سنة 812هـ/ 1409م. انظر. البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن. ***طبقات صلحاء اليمن***. تحقيق. عبد الله محمد الحبشي. (مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء. د. ت). ص 290- 291؛ العمري، حسين بن عبد الله. ***مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني***. (دار المختار. دمشق. 1400هـ/ 1980م). ص 59.

(19) انظر. ***العقد الفاخر***. ج2 ص 678- 687.

(20) المصدر نفسه. ج2ص 687.

على من سبقه، المبرز على من لحقه، الذي لم يولد في اليمن مثله، علما وفهما ولسانا، وشعرا ورواية، وفكرا، وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والأخبار والمناقب والمسالك مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة، والاستنباطات الفلسفية والأحكام الفلكية"[21].

وأشارت إلى تنقلاته ومؤلفاته، وعرضت لجوانب من علاقته ببعض أعلام عصره من شعراء وأدباء وأمراء، وكشفت عن جوانب من أسباب محنته أو نكبته والتي كان من أسبابها ذلك الصراع والعصبية بين القحطانية والعدنانية، حيث مثّلت "صعدة" - التي عاش فيها الهمداني حوالي العقدين من الزمن - مركز وبؤرة ذلك الصراع وتلك العصبية البغيضة في ديار اليمن، إذ كان فيها عدد من شعراء وأدباء ممن ينتسبون للعدنانية، جاهروا بعصبيتهم العدنانية ضد القحطانية من خلال نظم قصائد شعرية تحمل التعريض والانتقاص وذكر مثالب عن قبائل قحطان. وأوردت الترجمة أسماء بعض أولئك الشعراء[22]. فكان الهمداني ممن انبرى لمواجهتهم والرد عليهم ممثلاً للجانب القحطاني، فرد عليهم بقصائد أبرز فيها مفاخر قحطان وأمجادها- أوردت الترجمة مقاطع منها- ووردت في بعضها إشارات إلى أسماء أو ألقاب أو كنى من وجهت إليهم.

وتكمن أهمية هذه الأشعار – التي لم ترد فيما بين أيدينا من مؤلفات الهمداني- أنها تعكس جوانب من أحوال وشخصية الهمداني وكذا جوانب من أحوال اليمن عامة في ذلك العصر. فهي تكشف عن جوانب من أسباب محنة الهمداني وسجنه، فقد أشارت الترجمة إلى أن الهمداني أفحم أولئك الشعراء - جميعا وفرادى- فما كان منهم إلا أن دخلوا على إمام الزيدية في صعدة (الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي. ت 325هـ)[23] لتأليبه وإيغار صدره ضد الهمداني، حيث قالوا له: أن ابن يعقوب هجا النبي– عليه الصلاة والسلام – لتبدأ بذلك محنة الهمداني ومعاناته وسجنه[24]. وأشارت الترجمة إلى كيفية سجنه بصنعاء على يد أميرها السني (أسعد بن أبي يعفر

---

(21) انظر. ج2 ص 678.

(22) المصدر نفسه. ص 679.

(23) حول ترجمته. انظر. المحلي، حميد بن أحمد. *الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية*. تحقيق. المرتضى المحطوري. (ط1. مطبوعات مركز بدر. صنعاء. 1423هـ/ 2002م). ج2 ص 88- 100.

(24) الخزرجي. *العقد الفاخر*. ج2 ص 681.

إبراهيم الحوالي. ت 332هـ)[25] حليف الإمام الناصر وبإيعاز منه، ذلك أنهما - كما تشير الترجمة- " كانت بينهما مودة شديدة "[26]. وأشارت إلى أشعاره التي قالها في سجنه وما جرى من أحداث أثناء ذلك وبعده، واختتمت بذكر بعض مؤلفات الهمداني ثم وفاته في ريدة على نحو ما ذُكر أعلاه.

وتأتي بعد هذه الترجمة من حيث الأهمية – وفقا للترتيب الزمني في إطار هذه المجموعة- ترجمة قاضي طليطلة في الأندلس، صاعد الأندلسي،(أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن الأندلسي. ت 462هـ) الذي ترجم للهمداني في كتابه " طبقات الأمم" [27] ضمن علماء طبقة أمة العرب وهي الطبقة السابعة في تصنيفه للأمم الثمان التي تحدث عنها وعن أبرز علمائها في كتابه المذكور، ورتبها بحسب أهميتها ومكانتها العلمية في إطارها التاريخي والجغرافي والديني[28]. فترجم لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني، كونه من أبرز علماء العرب المتميزون في صنوف علمية متعددة، فجاء في الترجمة ذكر اسمه وتسلسل نسبه - مما استخرجه المؤلف من كتاب "الإكليل" الذي كان واسع الشهرة على ما يبدو- ثم عرض أسماء بعض مؤلفاته، ثم ذكر وفاته في سجن صنعاء سنة 334هـ وهو التاريخ الذي اعتمده معظم من ترجم للهمداني من بعده، وهو ما يخالف المشهور كما أثبتت الدراسات الحديثة التي استندت على شواهد ودلائل علمية أثبتت أن الهمداني عاش ربما سنوات بعد ذلك التاريخ – كما أشير أعلاه[29].

وتأتي أهمية هذه الترجمة كونها – بحسب ما نعلم- أول ترجمة مباشرة للهمداني لمؤلف من خارج اليمن، كما أنها - وإن تركزّت فقط حول التعريف به من حيث اسمه وتسلسل نسبه، وكنيته التي اشتهر بها (أبو محمد) والتعريف بأبرز مؤلفاته ثم ذكر وفاته- تكتسب أهمية في كون صاحبها اطلع على بعض مؤلفات الهمداني لاسيما كتاب "الإكليل" الذي ذكر محتويات أجزائه العشرة[30]، واطلاعه على تاريخ وفاة الهمداني في التاريخ المذكور- وإن لم يكن

(25) انظر. الهمداني. *الإكليل*. ج1 ص 329، 330، ج2 ص 181- 183.

(26) المصدر نفسه. 681.

(27) انظر. *طبقات الأمم*. تحقيق. حياة العيد بو علوان. (ط1. دار الطليعة. بيروت. 1985م). 147- 149.

(28) انظر. المصدر نفسه. 16 وما بعدها (مقدمة المحقق).

(29) انظر مصادر الهامش رقم (10) أعلاه.

(30) *طبقات الأمم*. ص 184.

صحيحاً- من خلال وثيقة مكتوبة بخط أمير الأندلس الأموي (الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الأموي)[31]. ما يدل على انتشار مؤلفات الهمداني ومكانتها ومكانة مؤلفها الرفيعة التي بلغت إلى قصور الأمراء وعلية القوم في الأندلس.

ويأتي في سياق هذه المجموعة الأولية من المصادر، ترجمة الهمداني لدى ياقوت الحموي،(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي. ت626هـ) في كتابه" معجم الأدباء"[32]، وإن كانت ترجمة مختصرة وليس فيها الجديد عما سبقها، إلا أنها تدلنا على مكانة وسمعة الهمداني ومؤلفاته العلمية المنتشرة في ديار الإسلام المختلفة، وفيها ذكر بأن الهمداني" كان رجلا عريضا محسدا في أهل بلدته"[33]. وفيها إشارة ياقوت عن قراءته بخط أحد معاصريه في فهرست كتبه "... خبرا من كتاب الإكليل في أنساب حمير وأخبارها تصنيف الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني وأنه كان – وجود الهمداني- في سنة أحدى وثلاثين وثلاثمائة "[34]. نستدل على انتشار كتب الهمداني وأنها كانت من الأهمية بحيث يطالعها وينقل عنها أو يعلق عليها علية القوم وأمرائهم ويحتفظون بنسخ منها في خزائن كتبهم الخاصة في أمصار مختلفة من ديار الإسلام.

وتعد ترجمة الهمداني لدى ابن القفطي، (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف. ت 646هـ)، في كل من كتابيه " إنباه الرواة على أنباه النحاة"[35] و"إخبار العلماء بأخبار الحكماء"[36] من أهم تراجم المصادر المباشرة الأولية التي تحمل دلالات على عظم المكانة التي بلغها الهمداني في عصره. فترجمته في كتاب "إخبار العلماء" كونه أحد أبرز حكماء وعلماء العرب في علوم الفلك والطب والطبيعة والفلسفة. وقد نقل ابن القفطي معظم مادة الترجمة الموجزة من ترجمة صاعد الأندلسي وأضاف إليها ذكر أسماء بعض الكتب للهمداني، وأشار إلى أنه قد تناول ترجمته بصورة أوسع في كتاب النحاة " الإنباه"[37].

---

(31) نفسه. ص 149.

(32) انظر. *معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. تحقيق. إحسان عباس. (ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1999م) ج2 ص 809- 810.

(33) نفسه. ج2 ص 810.

(34) نفسه. ص 810.

(35) انظر الترجمة الخاصة بالهمداني من هذا الكتاب. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1. دار الفكر العربي. القاهرة، دار الكتب الثقافية. بيروت. 1406هـ/ 1986م). ج2. ص 314- 319.

(36) انظر الترجمة الخاصة بالهمداني في هذا الكتاب. (مطبعة السعادة. القاهرة. 1326هـ). ص 113.

(37) *إخبار الحكماء*. ص 113.

وبالفعل فقد أفاض في الترجمة للهمداني في هذا الكتاب في موضوعها في ترتيب تراجم الأعلام الكتاب بحسب ترتيب حروف الهجاء، وفيها عرَّف باسمه ونسبه، واسترسل في ذكر صفاته ومكانته العلمية والأدبية واللغوية بما هو أهل له من ذلك قوله: "... الأديب، النحوي، الطبيب، المنجم، الإخباري، اللغوي،...نادرة زمانه وفاضل أوانه الكبير القدر، الرفيع الذكر، صاحب الكتب الجليلة، والمؤلفات الجميلة.. لو قال قائل: إنه لم تخرج اليمن مثله لم يزل؛ لان المنجم من أهلها لا حظ له في الطب، والطبيب لا يد له في الفقه، والفقيه لا يد له في علم العربية وأيام العرب وأنسابها وأشعارها، وهو قد جمع هذه الأنواع كلها وزاد عليها"[38]. وأشار فيها إلى أن لقب " ابن الحائك" الذي يعرف به، هو من إجادة حياكة الشعر، وأنه أطلق على جده سليمان لحوكه الشعر[39].

وعرضت الترجمة لجوانب من أخباره العلمية لاسيما في مجال اللغة والأدب، وأخبار رحلاته وتنقلاته ومواطن استقراره مع أسرته ومنها رحلاته بين صنعاء ومكة والعراق[40]، ولجوانب من علاقته ببعض أعيان عصره من داخل اليمن وخارجها. وأن صيته علا مما جلب عليه الحسد، حيث كرر عبارة ياقوت التي قال فيها: "... وكان رجلاً محسَّد في أهل بلده"[41]. وأورد فيها قائمة بأسماء بعض كتبه والتعريف بموضوعاتها، ومنها كتاب الإكليل الذي أشار إلى محتويات أجزائه العشرة – كما ورد لدى صاعد- . ومن وصف بعضها ما يدل على اطلاعه عليها لاسيما تلك الكتب التي وصلت إلى خزانة والده من اليمن، ومنها بعض أجزاء الإكليل الذي أشار إلى أنه " كتاب جليل جميل عزيز الوجود، لم أر منه إلا أجزاء متفرقة وصلت إلي من اليمن وهي: الأول، والرابع يعوزه يسير، والسادس، والعاشر، والثامن. وهي على تفرقها تقرب من نصف التأليف، وصلت في جملة كتب الوالد المخلفة عنه"[42].

وأشار إلى مسألة اختفاء بقية أجزاء كتاب الإكليل وتعذر وجوده كاملاً؛ كون أياد امتدت إلى تلك الأجزاء وتتبعت نُسخِها وأعدمتها كونها – بحسب

(38) *انباه*. ج2. ص 314.

(39) *انباه*. ج2 ص 314.

(40) ليس ثمة ما يدل – بحسب بعض الباحثين – أنه سافر إلى العراق، أو تجاوز بلاد اليمن ومكة. انظر. الهمداني. *صفة جزيرة العرب*. ص 14 (مقدمة المحقق).

(41) *انباه*. ج2 ص 314.

(42) *انباه*. ج2 ص 317– 318.

قوله- تحتوى على مثالب بعض قبائل اليمن، كما أن قصيدته "الدامغة"- التي اطلع عليها- قد جلبت له العداوة مع النزارية والمتنزرة. ورغم أنه أشار إلى أن قبر الهمداني في ريدة وأن بها بقية أهله، إلا أنه اختتم الترجمة بما جاء عند صاعد الأندلسي حول وفاة الهمداني في سجنه بصنعاء سنة 334هـ[43].

إن هذه الترجمة- بالإضافة إلى تركيزها على إبراز الجانب اللغوي والأدبي في حياة الهمداني وهو ما يتوافق مع سياق الكتاب- تناولت أخبار متنوعة عن شخصية وحياة الهمداني في كثير من جوانبها ومنها علاقته بمحيطه الفكري والسياسي، وذلك في مساحة واسعة تتناسب مع المكانة والقيمة العلمية للهمداني.

تلك هي أبرز ما وصلنا من تراجم رئيسة مباشرة للهمداني. ولا شك بأن هنالك مصادر أخرى يمكن تصنيفها في إطار هذه المجموعة الرئيسة ممن ترجم أصحابها للهمداني بصورة مباشرة ومقصودة لذاتها قد تكشف عنها قابل الأيام. فعلى سبيل المثال استدل البعض من إشارات بعض المصادر على أنها تحتوي على ترجمة مباشرة للهمداني في إطار سياقها العام- وإن كان ذلك غير مؤكد- منها ترجمة منسوبة لمسلم اللحجي،(أبي الغمر مسلم بن محمد بن جعفر. موجود سنة 545هـ)[44] في كتابه " الطبقات" الذي ما تزال بعض أجزائه مفقودة، ومنها الجزء الأول الذي استدل البعض من خلال بعض إشارات احتوائه على ترجمة الهمداني[45]. وبما أن هذا الجزء غير متوفر، فمن الصعوبة بمكان التأكد من وجود هذه الترجمة وتحديد قيمتها العلمية إن وجدت، إذ لا توجد دلائل واضحة على وجودها[46]. والحال نفسه مع مصدر آخر، هو الحجوري،(يحي – أو

(43) نفسه. ج2 ص 319.

(44) حول ترجمته انظر. *ابن المؤيد. طبقات الزيدية الكبرى*. مج 2 ص 1122.

(45) انظر. الهمداني. *صفة جزيرة العرب*. ص 19(مقدمة المحقق).

(46) إذا كان اعتماد من نسب هذه الترجمة لمسلم، بناءً على الإشارة الواردة في الصفحة 118 من نهاية كتابه المسمى " *كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية في اليمن* " الذي نشر بعنوان "*سيرة الإمام أحمد بن يحي الناصر لـدين الله*" بإخراج ويلفرد ماديولنغ. (المعهد الشرقي بجامعة أكسفورد. 1990م) والتي جاء فيها "... وقد ذكرنا ما جرى بينه – أي الإمام الناصر أحمد – وبينهم- بعض مناوئيه- في خبر الحسن بن يعقوب الهمداني العلامة الناسبة في الجزء الأول" فإن هذه العبارة ليست – على ما يبدو – لمسلم، وإنما هي – على ما يبدو – مضافة من قبل الناسخ أو الناشر الذي اختتم بها الكتاب ونقلها من كتاب: " روضة الحجوري حيث قال: "... وعن روضة الحجوري، ورقة 217 ظ..."

يوسف - بن سليمان. موجود سنة 636هـ)[47] حيث تدل إشارات وردت في خاتمة كتاب " سيرة الناصر" لمسلم اللحجي،على أنه – الحجوري- ترجم للهمداني في الجزء الأول من كتابه المعروف "بروضة الحجوري" [48].

ب المصادر الثانوية:

بالإضافة إلى مصادر الترجمة الرئيسة السابقة، ترجمت للهمداني بشكل مباشرة عدد من مصادر تراجم الأعلام والطبقات اللاحقة - لاسيما تراجم أعلام أهل اللغة والأدب – وذلك في إطار تراجم أعلامها. غير أن ما بين أيدينا من مادة تلك التراجم، لا يحمل جديدا فمعظمها منقول عن مصادر التراجمة الرئيسة السابقة الذكر، كما أن في بعضها خلط حول اسمه الأول، فيترجم له البعض في موضع ترتيبه في من اسمه " الحسن"، وآخرون في من اسمه "الحسين"، وربما قد ترد له ترجمتين في مصدر واحد، واحدة باسم "الحسن" والأخرى باسم "الحسين". ومعظم المصادر في هذه المجموعة تعتمد تاريخ الوفاة الذي جاء لدى صاعد. ومن ابرز من ترجم له في إطار هذه المجموعة:

1. الصفدي، (صلاح الدين خليل بن أيبك. ت 764هـ). في كتابه " الوافي بالوفيات" حيث ترجم للهمداني باسم " الحسين" نقل مادة الترجمة من مصادر سابقة ولم يأت فيها بجديد، وذكر أن البعض يسميه الحسن غير مصغَّر، وذكر وفاته على ما جاء لدى صاعد[49].
2. الخزرجي (ت 812هـ) في كتابه: " العقد الفاخر الحسن" وقد سبقت الإشارة إلى أنها منقولة عن ترجمة الكلاعي.
3. الفيروز أبادي،(مجد الدين محمد بن يعقوب. ت817هـ) صاحب: " القاموس المحيط" ترجم للهمداني في كتابه: " البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة" باسم "الحسين بن أحمد" ولم تحمل الترجمته جديدا فهي منقولة على نمط ترجمة الصفدي، وقد جاء تحديد تاريخ وفاة الهمداني

---

(47) ترجم له. ابن أبي الرجال. *مطلع البدور*. ج 4 ص 519 باسم يوسف، وآخرون باسم يحي. انظر. الشامي. *تاريخ اليمن الفكري*. ج3. ص 279؛ الوجيه، عبد السلام عباس. *أعلام المؤلفين الزيدية*.(ط1. مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية. عمان. الأردن. 1420هـ/ 1999م). ص 1133- 1134

(48) انظر. مسلم اللحجي. *سيرة الإمام أحمد*. ص 118.

(49) انظر. *الوافي بالوفيات*. تحقيق. أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. (ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 200م). ج12. ص 204.

في هذه الترجمة سنة 234هـ ويبدو أنه خطأ من قبل النساخ كما نبه إلى ذلك محقق الكتاب[50].

4. ابن فهد، (نجم الدين عمر بن فهد المكي. ت 885هـ). في كتابه: " الدر الكمين" ترجمته منقولة عن ترجمة الخزرجي التي هي بدورها منقولة عن ترجمة الكلاعي[51].

5. وترجم له السيوطي،(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. ت 911هـ) في كتابه" بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" ترجمتين، واحدة باسم الحسن،[52] وهي ترجمة موجزة أشار إلى أنه نقلها عن الخزرجي [53]، وأخرى باسم الحسين، وذكر تاريخ وفاته كما لدى صاعد[54].

ونقل عن هذه الترجمة الأخيرة، الخوانساري، (محمد باقر الموسوي الأصبهاني ت 1313هـ)[55] في كتابه: " روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات"[56]، وابن أبي الرجال في كتابه: " مطلع البدور " كما سيأتي.

وهنالك إشارات إلى تراجم أخرى يمكن تصنيفها في إطار هذه المجموعة – مصادر الترجمة المباشرة الثانوية- مما لم نطّلع على مادتها، لكنها على الأرجح لن تخرج عن سياق تراجم هذه المجموعة. منها ترجمة ابن مكتوم، (أحمد بن عبد القادر القيسي. ت 749هـ)[57] في كتابه " أخبار النحويين واللغويين المذكورين في كتاب الإنباه" وهو تلخيص لكتاب " إنباه الرواة " لابن القفطي[58]. وترجم له الكتبي، (محمد بن شاكر. ت 764هـ) في كتابه (عيون التواريخ)[59]. وابن قاضي

(50) انظر. *البلغة في تراجم أئمة اللغة*. تحقيق. محمد المصري.(ط1. دار سعد الدين. دمشق. 1421هـ/ 2000م). ص 123- 124.

(51) انظر. *الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*. دراسة وتحقيق.عبد الملك بن وهيس.(ط1. دار خضر. بيروت. 1421هـ/ 2000م). ج1 ص 678- 679.

(52) *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط2. دار الفكر. بيروت. 1399هـ/ 1979م). ج 1 ص 498.

(53) وقد نقل ابن أبي الرجال نص ترجمة السيوطي في ذكره للهمداني في كتابه " مطلع البدور" كما سيأتي أدناه.

(54) المصدر نفسه. ص 531.

(55) الزركلي، خير الدين. *الأعلام*. (ط15. دار العلم للملايين. بيروت. 2002م). ج6. ص 49.

(56) انظر. *روضات الجنات*.. (نسخة خطية مصورة موجودة على موقع مكتبة المصطفى على شبكة الانترنت). ج1 ص 238.

(57) الزركلي. *الأعلام*. ج1 ص 153.

(58) انظر. *انباه الرواة*. ج1 ص 7 (مقدمة الناشر).

(59) نفسه. ج2 ص 314 (هامش 3 للمحقق).

شهبة،(تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي. ت 851هـ) في كتابه "طبقات النحاة واللغويين" باسم "الحسين"[60].

ثالثاً: مصادر غير المباشرة:

بالإضافة إلى مصادر المجموعتين السابقتين، فإن مصادر أخرى- غير مباشرة- يجب عدم إغفالها لمن أراد البحث حول شخصية الهمداني وحياته ومؤلفاته؛ فقد تحتوي أو تدل على الجديد مما لم يرد في مصادر المجموعتين السابقتين، وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة أو مقصودة لذاتها، فقد تأتي المادة المتعلقة بالهمداني ضمن سياقات موضوعية وزمنية أخرى لها صلة بالهمداني من قريب أو بعيد. وبطبيعة الحال فإن هذه المادة تتفاوت من حيث حجمها ونوعها وقيمتها بحسب طبيعة الموضوعات التي تأتي في إطارها وصلتها بالهمداني، وذلك من أوجه مختلفة، منها:

أ. في معرض استشهادات ونقول علمية:

قد ترد معلومات أو إشارات حول اسم الهمداني وألقابه وكنيته وأسماء بعض كتبه والتعريف بموضوعاتها... وجوانب أخرى من شخصيته وحياته، في سياق استشهادات ونقول وإحالات علمية نقلت عنه أو عن كتبه، من ذلك على سبيل المثال الاستشهاد اللغوي الذي أورده الهجري،(أبوعلي هارون بن زكريا الهجري. موجود أوائل القرن 4 هـ)[61] في كتابه " التعليقات والنوادر" والذي جاء فيه:" وقال الهمدانيّ: - من أهل رَيَدة بَلدٌ بالبَون قريب صنعاء... "[62]. ومن ذلك: تلك الإشارات حول اسم الهمداني" الحسن بن أحمد...." وكنيته " أبو محمد" وألقابه مثل " النسابة" و" ابن الحائك" و أسماء بعض كتبه باعتبارها مصادر ينقل عنها ومنها كتب " الإكليل " أوردها مسلّم اللحجي في سياق إحالته إلى مصادر تراجم بعض أعلام " الجزء الرابع من طبقاته" [63]، وفي أثناء استشهاده بالهمداني في صحة اسم موضع جغرافي، ذكره في كتابه " سيرة

---

(60) نفسه. ج2 ص 314 (هامش 3 للمحقق)؛ الفيروز أبادي. *البلغة*. ص 123 (هامش 3 للمحقق).

(61) من مشائخ الهمداني ومصادره، التقى به في مكة ونقل عنه أخباراً أوردها في مؤلفاته. انظر. *قصيدة الدامغة*.ص 52، 53.

(62) الهجري، أبو علي هارون بن زكريا. *التعليقات والنوادر*. دراسة وتحقيق. حمد الجاسر. (ط1. دار اليمامة. الرياض.1413هـ 1993م). ص 1159.

(63) انظر. مسلم اللحجي. *الجزء الرابع من كتاب الطبقات*. (نسخة خطية مصورة).ص 34، 283.

الناصر"[64]. فهذه الأمثلة للدلالة على أهمية مثل هذا النوع من المصادر التي قد تحتوي على إشارات ومعلومات متعددة الأغراض فيما يفيد عن شخصية وحياة الهمداني. وما يجب أخذه في الاعتبار في هذا الجانب، هو ما كان عليه الهمداني من موسوعية علمية، في الطب والحكمة والمعادن والجغرافيا والبلدان والأنساب والتواريخ واللغة والأدب والحيوان والفلك والنجوم والكيمياء... وغير ذلك مما تدل عليه مؤلفاته فإن البحث في المصادر المماثلة والقريبة من تلك الموضوعات - سواء المعاصرة للهمداني أو المتأخرة، وسواء أكانت يمنية أم من خارج اليمن- قد تحتوي على إشارات ومادة حول الهمداني وكتبه تأتي بطرق وصياغات متعددة.

ب. في معرض تواريخ أحداث وسِيَّر وتراجم معاصرة

كما تحتوي بعض المصادر التاريخية التي دونت أخبارا وأحداثا عن المرحلة المعاصرة للهمداني، وعلى وجه الخصوص ما ارتبط منها بالإطار الجغرافي الذي عاش فيه، معلومات وإشارات مختلفة مما تفيد في التعرف على جوانب من شخصيته وحياته، لاسيما أنه كان شخصية بارزة فاعلة ومنفعلة في تلك الأحداث عبر صلاته وعلاقته المباشرة بقيادات وأعيان ذلك العصر، وتوتر علاقته ببعضهم. فلاشك أن المصادر التي دونت أخبار ومجريات تلك المرحلة سواء أكانت معاصرة أم لاحقة، ستشير إلى الهمداني في سياق ما يرتبط به، ومنها على سبيل "سيرة الإمام الناصر أحمد" – معاصر الهمداني- " التي كتبها صاحب الإمام المذكور، الهمداني، (عبد الله بن عمر. ت 4هـ)[65] فتلك السيرة قد تحتوي على مادة لا بأس بها عن الهمداني لاسيما فيما يتعلق بعلاقته بالإمام الناصر ومحنة سجنه المرتبطة بذلك الإمام، واستغاثته ببعض أمراء ووجهاء عصره[66]. ويندرج في السياق ذاته ما جاء عن الهمداني من مادة أوردها (مؤلف مجهول) في كتابه " فاكهة الزمن في تاريخ اليمن"[67]. فقد أشار إلى سبب سجن الإمام

(64) ص 41.

(65) الوجيه. *أعلام المؤلفين*. ص 606.

(66) نستدل على ذلك مما جاء لدى مسلم اللحجي. في كتابه. *سيرة الإمام الناصر*. الذي لخصه من عن كتاب عبد الله الهمداني المذكور. انظر. ص 42- 43.

(67) يحتوي على أخبار متنوعة من تاريخ اليمن في الإسلام إلى القرن الخامس الهجري وتوجد منه نسخة خطية فيها سقط لبعض أوراقها.

الناصر للهمداني،وأنه بسبب ما بلغه عنه من أنه هجاه بأبيات من الشعر، فكتب الناصر بذلك إلى أسعد بن أبي يعفر الحوالي صاحب صنعاء وحليفه الذي فهم رسالة الناصر ومراده، فأمر بوضع الهمداني في سجن صنعاء. وذكر استغاثة الهمداني في سجنه ببعض الشخصيات والزعامات القبلية، وأورد أبيات من قصيدته الشهيرة بقصيدة الجار، التي حملت أبياتها، عتاب واستغاثة ولوم وتحذير موجهة إلى أعيان وأمراء ووجهاء اليمن من بني قحطان وعلى رأسهم أسعد بن أبي يعفر الحوالي وزعماء قبائل اليمن القحطانية، لموقفهم السلبي مما تعرض له من اضطهاد وظلم وتنكيل دون ذنب سوى أنه دافع ورد على من ينتقص من شأن بني قحطان من شعراء وأدباء العلويين والعدنانيين بصعدة(68). وهذا المصدر هو أول من أورد مجموعة من أبيات هذه القصيدة الشهيرة، والتي أشار إلى أنها ضمن ديوان الهمداني(69). وقد ذكر القاضي محمد الأكوع – رحمه الله- أنه وجد نسخة كاملة لهذه القصيدة مكونة من مائة بيت إلا بيت، أثبتها في مقدمة الجزء الأول لكتاب الإكليل، وفيها تتكشف جوانب من أسباب نكبة ومحنة الهمداني، وجوانب من مظاهر ذلك الصراع العدناني – القحطاني الشهير الذي أنتج أمهات القصائد التي عرف بعضها بالدوامغ، ومنها دامغة الهمداني الشهيرة(70).

وفي السياق ذاته، فإن بعض مصادر تراجم أعلام وطبقات الزيدية "الهادوية" والسلالة العلوية في اليمن، تحتوي على مادة عن الهمداني، على شكل إشارات غير مباشرة، وقد يحظى بترجمة مختصرة لكن بصورة غير مباشرة، إنما تأتي في معرض تراجم بعض الأعلام الرئيسة التي عاصرت الهمداني وله صلة بها من قريب أو بعيد. فالهمداني لم يكن في منظور هؤلاء من أهل مذهبهم أو طريقتهم، إذ عدَّه البعض سنيا، بينما ذهب آخرون - رجما بالغيب- إلى أنه كان اسماعيليا. فكانت نظرتهم إليه عدائية وفيها قدر كبير من التحامل والتجني فنال البعض منه تارة بالتصريح وأخرى بالتلميح، حيث اتهموه بالتعصب والكذب والتسول بالأشعار وتزييف الأنساب.. وغيرها من التهم التي

---

(68) انظر. مجهول. *فاكهة الزمن*.(نسخة خطية مصورة) ق 93.

(69) ديوان شعر الهمداني، من تراثه المفقود. وأشارت إليه بعض مصادر ترجمته أنه مكون ستة أجزاء وأن الحسين بن خالويه النحوي (ت 356هـ) عندما دخل اليمن وأقام فيها مدة سنتين شرح خلالها ديوان شعر الهمداني وأعربه وعرَّبه فجاء الشرح في نحو عشرة مجلدات. انظر. القفطي. *انباه*. ج2. ص 318-319؛ الخزرجي. *العقد الفاخر*. ج2. ص 686.

(70) انظر. *الإكليل*. ج1 ص 49- 56. (المقدمة).

تفصح عن عمق العداء التاريخي العلوي للهمداني الذي كان السبب الرئيس في محنته وسجنه، بل واستمرار ذلك العداء بعد وفاته،عبر حقب التاريخ المختلفة، تمثل ذلك بأكثر من صورة، منها تتبع وإخفاء وإهلاك مؤلفاته وكل ماله صلة به، ومنها ما ناله من قبل بعضهم من تعريض وهجوم في كتاباتهم التاريخية والأدبية. ويمكن الاستدلال على ذلك الاتجاه من خلال ما جاء عن الهمداني في مصدرين من هذا الاتجاه:

ـ الأول:

هو المؤرخ ابن أبي الرجال (أحمد بن صالح. ت 1092هـ) الذي ذكر الهمداني في مناسبات عارضة في أكثر من موضوع في سياق بعض التراجم الرئيسة في كتابه " مطلع البدور"[71]. ومن بعض تلك الإشارات خرج الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع، بتشخصيات واستنتاجات إضافية حول أسباب نكبة الهمداني الشهيرة[72]. ومن تلك الإشارات العارضة، ترجمة للهمداني جاءت بصورة عارضة بعد ذكر مجموعة من تراجم عارضة أيضا لمجموعة من فرقة " المطرفية" منهم شيخ الهمداني أبو السعود الحنبصي، الذي كان سببا لتلك الترجمة كونه تلميذه[73]، بدأت ذلك بقول المؤلف: " وقد عنَّ هنا ذكر ابن الحائك مصنف الإكليل وهو من علماء اليمن "[74]. وفيها نال الهمداني منه قسطا من التعريض والإساءة والتجريح، من ذلك قوله: "... وقد تكلم فيه الإمام شرف الدين بما يدل على انحلال في دينه، لكنا نذكره بما ذكره المؤرخون معرضين عن سيئ حاله، وكفى بقدح الإمام له جارحا"[75]. وحتى يظهر بأنه موضوعي، عرض المؤلف جانباً من بعض ما جاء من وصف للهمداني في بعض المصادر غير اليمنية، من ذلك قوله:" وقد ترجم له ياقوت الحموي والتكريتي، والسيوطي في بغية الوعاة قال – السيوطي- : هو الأوحد في عصره، الفاضل على من سبقه، المبرز على من لحقه، الذي لم يولد في اليمن مثله، علما وفهما ولسانا، وشعرا ورواية، وفكرا، وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والأخبار والمناقب والمسالك مع علوم العجم من النجوم

(71) انظر. ج2ص 154- 157، 387- 389، ج4 ص 235- 238.

(72) انظر. الشجاع. *نكبة الهمداني*. ص 230 وما بعدها.

(73) *مطلع البدور*. ج2. 387- 389.

(74) نفسه. ج2. ص 387.

(75) نفسه. ج2. ص 387.

والمساحة والهندسة والفلك، ولد بصنعاء ونشأ بها، ثم ارتحل وجاور بمكة، وعاد فنزل صعدة وهجا شعراءها فنسبوا إليه، أنه هجا النبي صلى الله وآله وسلم فسجن، وله تصانيف منها الإكليل في الأنساب، وله ديوان نحو ستة مجلدات..انتهى ما أردت نقله من بغية الوعاة" [76]. ثم عاد إلى ذكر ما جاء عن الهمداني لدى بعض المؤرخين الهادوية ممن يقول عنهم: " أصحابنا في تاريخه" من ذلك ما ورد لديهم حول سبب اعتقال وسجن الهمداني من قبل الإمام الناصر وأسعد الحوالي، وهو- بزعمهم: - "... لسيئات في دينه" وأن الهمداني استغاث بالقرمطي أبي الحسن بن حوشب، ثم يعقب بقوله: " قلت: لهج ابن الحايك- أي الهمداني- بتفضيل قحطان على عدنان وحقّر ما عظم الله، وتجاسر على انتقاص ما اصطفاه الله"[77]. مستشهدا بأبيات للهمداني من قصيدة " الدامغة " التي رد بها على قصيدة الكميت بن زيد الأسدي، وأمثاله ممن نالوا في قصائدهم من بني قحطان. وهذه هي الأبيات: [78]

1. أَلا يَـا دَارُ لَـوْلاَ تَنْطِقِيْنَـا فَإِنَّـا سَـائِلُونَ ومُخْبِرُونَـا
2. بِمَا قَدْ غَالَنَا مِنْ بَعْدِ هِنْدٍ ومَاذَا مِنْ هَوَاهَا قَدْ لَقِيْنَا

ومنها:

20. لَقَدْ جَهِلُوا جَهَالَةَ غَيْرِ سُوْءٍ بِسِفْرٍ عَاشَ يَحْمِلُهُ سِنِيْنَا
21. لَقَدْ جُعِلُوا طَعَامَ سُيُوفِ قَوْمِي فَمَا بِسِوَى أُولَئِكَ يَغْتَذِيْنَا
22. كَمَا الجِرْذَانُ لِلسِّنَّورِ طُعْمٌ ولَيْسَ بِهَائِبٍ مِنْهَا مِئِيْنَا

ومنها:

33. كَأَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا إِلَيْنَا لِذِلَّتِهِمْ قُرُوْدٌ خَاسِئُونَا

ومنها:

49. وغَرَّهُمُ نُبَاحُ الكَلْبِ مِنْهُمْ وظَنُّونَا لِكَلْبٍ هَائِبِيْنَا
50. وإِنْ تَنْبَحْ كِلابُ بَنِي نِزَارٍ فَإِنَّا لِلنَّوَابِحِ مُجْحِرُونَا

(76) نفسه. ج2. ص 387.

(77) نفسه. ج2. ص 388.

(78) تشير الأرقام التي تسبق الأبيات إلى تسلسل موضعها في القصيدة.

وأورد البيت الأول من قصيدة الجار التي أشار إلى أن الهمداني أنشأها وهو مسجون بصعدة، وهو:

خليلــي إنــي مخــبر فتخــبر بذلـة كهـلان وحـيرة حمـير

ثـم أشـار إلى سـجن الهمـداني بـصنعاء، ومـا حـدث خـلال ذلـك وبعـده مـن أحـداث ومواقـف تعـرض لهـا الهمـداني، ممـا يـستدعي الوقـوف عنـدها بـشيء مـن التمحيص والتحليل والمقارنة علّها قد تفيد بجديد.

- الثاني:

المؤرخ:(يحـي بـن الحـسين بـن القاسـم الحـسني. ت 1100هـ) الـذي ذكـر الهمـداني في كتابـه "طبقـات الزيديـة الـصغرى " [79] بترجمـة جانبيـة مـوجزة في سياق التراجم العارضة لمن عاصر الإمام الهادي وأبنائه. وقد سار على نهج بن أبي الرجــال في التعــريض بالهمــداني بالتــصريح والتلمــيح، مــع محاولــة ادعــاء الموضوعية، والاعتماد على ما أورده الإمام شرف الدين في كتابه:" شرح مقدمة الإيمــان" في حـق الهمـداني. فيـذكر بـأن الهمـداني أفـصح وأشـعر مـن نـشوان الحمـيري،[80] وأنـه حائـك مـن حاكـة ريـدة، إذ ينـسبه للحياكـة أي الخياطـة ودباغة الجلـود- ولـيس كمـا هـو مـشهور مـن حياكـة الـشعر- ويـشير إلى أن الهمـداني صنف في العلـوم وأن أكثـر تـصانيفه لا يخليهـا مـن التعـصب لقحطـان علـى عـدنان حتـى خـرج إلى الكـذب، وأنـه كـان مـشهورا بالكـذب في الأنـساب مـع معرفته بها، وأنه كان يأخذ على الكذب فيها مالا، وأنـه كـان سـبابا لأهـل البيـت. ثم أشار إلى قضية سجنه على يد أسعد بن أبي يعفر برأي الإمام الناصر. لكنه ينفــي تهمــة الإسماعيليــة عــن الهمــداني، إذ يؤكــد موقــف الهمــداني الــرافض والمعادي للفكر الإسماعيلي مستدلا على ذلك مما اطلع عليه من آراء ومواقف الهمـداني في كتبـه وأشـعاره، فيرجـح بأنـه سـنيا، إذ يقـول: " والظـاهر أن المـذكور كـان سنياً" [81].

(79) ويعرف بكتاب *الطبقات في ذكر فضل العلماء وعلمهم ومصنفاتهم*".

(80) هو الإمام نشوان بن سعيد (ت 573هـ) صاحب موسوعة (شمس العلوم).

(81) انظر. *الطبقات*. (نسخة خطية مصورة). ق 56.

الخاتمة.

نخلص مما سبق عرضه، إلى أن مصادر ترجمة الهمداني متنوعة الاتجاهات والمناهج، والأغراض والقيمة العلمية، ومع ذلك فإنها لم تكشف عن مختلف جوانب شخصيته وحياته، وأن معظم تلك المصادر - لاسيما ما جاء في كتب التراجم الثانوية التي نقلت عن مصادر الترجمة المباشرة- مادتها متواترة ومكررة. ومع ذلك فما يزال بالإمكان الاستفادة من مصادر المجموعة الأولى المتمثلة بمؤلفات الهمداني، ومن مصادر المجموعة الثالثة المتمثلة بمصادر الترجمة غير المباشرة والتي تحتاج إلى مزيد من البحث في بطون ما هو متوفر منها أو على شاكلتها إلى أن تكشف الأيام عن الجديد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن-- ***طبقات صلحاء اليمن***. تحقيق. عبد الله محمد الحبشي.(مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء. د. ت)
2. الخزجي، أبي الحسن علي بن الحسن – ***العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن***، وهو: "***طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن***". تحقيق. عبد الله العبادي وزملاؤه. (ط1. الجيل الجديد ناشرون. صنعاء. 1430هـ/ 2009م).
3. الخوانساري، محمد باقر الموسوي الأصبهاني – ***روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات***(ج1. نسخة خطية مصورة موجودة على موقع مكتبة المصطفى على شبكة الانترنت).
4. ابن أبي الرجال، شهاب الدين أحمد بن صالح ***مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية***. تحقيق. عبد الرقيب مطهر حجر.(ط1. منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية. صعدة. اليمن. 1425هـ/ 2004م).
5. الزركلي، خير الدين – ***الأعلام***. (ط15. دار العلم للملايين. بيروت. 2002م).
6. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر– ***بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة***. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط2. دار الفكر. بيروت. 1399هـ/ 1979م).
7. الشامي، أحمد محمد – ***تاريخ اليمن الفكر اليمني في العصر العباسي***. (ط 1. دار النفائس. بيروت. 1407هـ 1987م).
8. الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد محمد – ***نكبة الهمداني***. بحث منشور في مجلة كلية الآداب – جامعة صنعاء. العدد 16. سنة 1994م.
9. صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد – ***طبقات الأمم***. تحقيق. حياة العيد بوعلوان. (ط1. دار الطليعة. بيروت. 1985م).
10. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك – ***الوافي بالوفيات***. تحقيق. أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. (ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 200م).
11. عبد الله. يوسف محمد – ***ترجمة الهمداني، صياغة جديدة***. (دراسة منشورة ضمن كتاب: ***الهمداني لسان اليمن***، دراسات في ذكراه الألفية. جامعة صنعاء. 1407هـ/ 1986م).
12. العمري، حسين بن عبد الله – ***مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني***. (دار المختار. دمشق. 1400هـ/ 1980م).
13. ابن فهد، نجم الدين عمر بن فهد المكي – ***الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين***. دراسة وتحقيق.عبد الملك بن وهيس.(ط1. دار خضر. بيروت. 1421هـ/ 2000م).
14. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب – ***البلغة في تراجم أئمة اللغة***. تحقيق. محمد المصري.(ط1. دار سعد الدين. دمشق. 1421هـ/ 2000م).
15. ابن القاسم، يحي بن الحسين – ***طبقات الزيدية الصغرى = الطبقات في ذكر فضل العلماء وعلمهم ومصنفاتهم***". (مخطوط مصور).
16. ابن القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف – ***إخبار العلماء بأخبار الحكماء***. (مطبعة السعادة. القاهرة. 1326هـ)- ***انباه الرواة على انباه النحاة***. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1. دار الفكر العربي. القاهرة، دار الكتب الثقافية. بيروت. 1406هـ/ 1986م).
17. اللحجي، أبي الغمر مسلم بن محمد بن جعفر– ***سيرة الإمام أحمد بن يحي الناصر لدين الله***. إخراج ويلفرد ماديولنغ.(المعهد الشرقي بجامعة أكسفورد. 1990م)- ***الطبقات***. ج4. (مخطوط مصور).

18. ابن المؤيد، إبراهيم بن القاسم- ***طبقات الزيدية الكبرى***. (القسم الثالث). تحقيق. عبد السلام الوجيه. (ط1. مؤسسة الإمام زيد الثقافية. عمان. الأردن. 1412هـ/ 2001م).

19. مجهول- ***تاريخ اليمن المسمى (فاكهة الزمن)***. مخطوط مصور.

20. المحلي، حميد بن أحمد- ***الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية***. تحقيق. المرتضى المحطوري. (ط1. مطبوعات مركز بدر. صنعاء. 1423هـ/ 2002م).

21. الهجري، أبو علي هارون بن زكريا- ***التعليقات والنوادر***. دراسة وتحقيق. حمـد الجاسـر. (ط1. دار اليمامة. الرياض.1413هـ 1993م).

22. الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب- ***الإكليل***. ج1. تحقيق. محمد بن علـي الأكـوع. (ط3. منشورات المدينة. بيروت. 1407هـ/ 1968م) - ***الإكليل***. ج2. تحقيق. محمد بن علي الأكـوع. (ط3. منشورات المدينة. بيروت. 1407هـ/ 1968م)- ***الإكليل***. ج8. تحقيق. محمد بن علـي الأكـوع.(ط3. منشورات المدينة. بيروت. 1407هـ/ 1968م)- ***الإكليل***. ج 10. تحقيق. محمد بن علي الأكوع. (ط1. مكتبة الجيل الجديد. صنعاء 1410هـ/ 1990م)- ***الجوهرتين العتيقتـين المـائعتين مـن الـصفراء والبيضاء***. إعداد وتحقيق. محمد محمد الشعيبي.(ط1. مطبعة دار الكتاب. دمشق.1982م)- ***صفة جزرة العرب***. تحقيق. محمد بن علي الأكوع.(ط1. مكتبة الإرشاد. صنعاء. 1410هـ/ 1990م)- ***قـصيدة الدامغة***. تحقيق. محمد بن علي الأكوع.(مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. 1987م)- ***المقالة العاشرة من سرائر الحكمة***. تعليق. محمد بن علي الأكوع. (د. م).

23. الوجيه، عبد السلام عباس- ***أعلام المؤلفين الزيدية***. (ط1. مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية. عمـان. الأردن. 1420هـ/ 1999م).

24. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي- ***معجم الأدباء= إرشـاد الأريب إلى معرفة الأديب***. تحقيق. إحسان عباس. (ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1999م).